الغيب وشهادة السيد المظلوم

السيد بهاء الدين الجابري القمي

بسم الله الرحمن الرحيم

" الحمد لله الذي نشر للعلماء أعلاما، وثبت لهم على الصراط المستقيم أقداما، وجعل مقام العلم أعلى مقام، وفضل العلماء بإقامة الحجج الدينية ومعرفة الاحكام، وأودع العارفين لطائف سره فهم أهل المحاضرة والالهام، ووفق العالمين لخدمته فهجروا لذيذ المنام، وأذاق المحبين لذة قربه وأنسه فشغلهم عن جميع الانام، أحمد سبحانه وتعالى على جزيل الانعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلالم، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده، ورسوله وصفيه وخليله إمام كل إمام"[1] ، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

اما بعد : كنت اقلب في احد كتب مكتبتي فوجدت هذه الوريقات التي كنت قد كتبتها في وقت سابق ونسيت امرها فلما نظرت الى خطي اخذني الفضول فقرات ما فيها

[1] الاقناع في حل الفاظ ابي شجاع للشربيني .

بأكمله فقلت لنفسي : اذا كان ما في هذه الوريقات من أفكار مخالف لما اتبناه اليوم ، ما الضير في طباعتها ؟

هي أفكار تمثل مرحلة زمنية مضت ، وهي حتى وان لم تكن من متبنياتي اليوم الا انها كانت افكاري في الماضي ، وما دمت قد اعترفت للقارئ بانها ماضية او منسوخة فلا يوجد اشكال في ان يطلع عليها ، ثم اني لا اعلم المستقبل اذ لعل الزمن يرجعني اليها ، او لعلي اسجل الأفكار الجديدة في كتاب جديد ليكون القارئ على دراية ومعرفة بالناسخ والمنسوخ من أفكار كاتب السطور ، اسال الله حسن العاقبة والتسديد واقالة العثرة والستر وان يجعل تقلباتنا الفكرية في حدود مذهب اهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) .

هل الحسين (عليه السلام) يعلم الغيب ؟

لا اشكال ولا شبهة عندي بان سيدنا المظلوم كان عالما بالغيب[٢] ، وكان يعلم بما سيجري عليه ، قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : " ما من ارض مخصبة ولا مجدبة ، ولا فئة تضل مئة وتهدي مئة الا انا اعلمها وقد علمتها اهل بيتي "[٣] ولكن هنا قد يطرح سؤال مفاده اذا كان (عليه السلام) عالما بالغيب ترى لماذا ذهب الى كربلاء ؟ اليس هذا من القاء النفس في التهلكة [٤] ثم ما ذنب النساء والأطفال الذين اخذهم معه ، لماذا عرضهم الى ما تعرضوا اليه[٥] ؟ ثم انه (عليه السلام) اذا كان

---

[٢] العلم بالغيب ، او قل العلم بالمستقبل درجات ، وانا ادعي بانه حتى الانسان العادي يعلم الغيب في بعض الاوقات و بدرجة من الدرجات.
ترى هل حدث وان رأيت حلما وتحقق ؟ الجواب : نعم ؛ ما تفسير هذا الامر ؟ اليس هو معرفة للحدث قبل وقوعه ؟ نعم لم ستثمر علم الغيب هذا بإخبار شخص بما سيحدث ولم تأخذ احتياطاتك لما شاهدت في منامك .

[٣] بصائر الدرجات للصفار .

[٤] والقاء النفس في التهلكة انتحار وهو محرم شرعا ، قال تعالى " وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " سورة البقرة الآية ١٩٥

[٥] من السبي والتعب والاذلال والقتل .

عالما بالغيب تفصيلا ولم يعمل بعلمه ، فما هي فائدة هذا العلم ؟

سأحاول الإجابة عن هذه الإشكاليات لنتوصل الى قراءة مقبولة عقلا وشرعا لمسيرة الحسين المظلوم بحيث يرتفع الاشكال والابهام حول تلك المسيرة العظيمة .

العلم بالغيب وارسال الحجج .

قال تعالى في كتابه العزيز : (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا) لنتأمل قليلا في هذه الآية ، فنسال ونستفهم ، هل الله يعلم الغيب ؟ الجواب نعم ، هل يعلمه تفصيلا او اجمالا ؟ الجواب تفصيلا ، فاذا كان الله يعلم الغيب تفصيلا ويعلم بان فرعون ونمرود وقم لوط لا يهتدون ، ترى لماذا ارسل اليهم الرسل والانبياء ؟ اذا كان يعلم بان قوم يحيى (عليه السلام) لا يهتدون لماذا ارسله اليهم ؟ وهل من العدل

والانصاف ان يرمي السيد بعبده المطيع في مسبعة لتأكله المفترسات ؟ الله تعالى يعلم بان يحيى (عليه السلام) سيذبح ترى لماذا لم يستخدم علمه فينبه رسوله ليجد الرسول لنفسه مخرجا ومهربا من الذبح والقتل؟ لماذا جعل الأمور تسير بصورة طبيعية فيدعو الرسول والنبي قومهما ، ثم يرفض هؤلاء القوم دعوة الرسول، ثم يدعوه مرة أخرى وأخرى، فلا يجيبوه ثم يأتون على هذا الرسول المسكين ويقتلوه .. اليس من الأولى استخدام علم الغيب وتفعيله وابادة الظالمين من البداية بدلا من هذا الوقت الطويل و بدلا من ازهاق الأرواح الخيرة .

في قصة النبي نوح (عليه السلام) حيث نرى بانه ظل يدعو قومه كذا من السنين بلا فائدة وبلا استجابة ثم بعد ذلك اهلكهم واغرقهم الله (عز وجل) .. ما هي الفائدة من ذلك اليس الله يعلم بعدم استجابتهم وكفرهم ؟ لماذا لم يهلكهم من البداية ؟

ان كل تلك التساؤلات والاستفهامات تجيب عنها الآية الكريمة (.. لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا) فيأتون_ اقصد الناس_ يوم القيامة ويقولون : يا رب لماذا عذبتنا واغرقتنا واهلكتنا ونحن لم نفعل أي شيء ؟

طبعا بإمكانه سبحانه ان يفعل ما يشاء ولا يسأل عن ذلك[٦] ولكن لابد من ان يقيم الحجة عليهم ، لان اهلاكهم بلا إتمام الحجة خلاف الحكمة ، والعدل وفعل ما يخالف الحكمة والعدل قبيح عند العقلاء والله سيد العقلاء تعالى وتبارك عن فعل خلاف العدل الحكمة علوا كبرا .

فاذا كان هناك اشكال على عمل قام به احد الائمة او الأنبياء (عليهم السلام) بحيث قد يُخيل للعقل بانه (عليه السلام) اقدم على هذا العمل وهو لا يعلم .. فينبغي ان

[٦] قال تعالى في كتابه العزيز : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون).

يوجه الى الله تعالى الذي يرسل الأنبياء والرسل على علم مسبق بالنتيجة وبان الناس لن تؤمن بهم .

تمت الحجة على الحسين (عليه السلام) .

بعد هذه الجولة في الآية الكريمة نرجع الى موضوعنا الأصلي وهو الامام الحسين (عليه السلام) .

كتب اهل العراق الى الحسين (عليه السلام) يطلبون منه القدوم[٧] ، فارسل اليه قادة الجيوش ، والوجهاء ، ورؤساء القبائل يطلون ذلك ، والأمور بحسب ظاهرها كانت مهيئة ، ومنظمة لاستقباله (عليه السلام) ليكون حاكما على العراق ، فيطبق حكم الله في الأرض ، ولم يكن هناك ما

[٧] قال اليعقوبي في تاريخه : " فخرج الحسين إلى مكة، فأقام بها أياماً، وكتب أهل العراق إليه، ووجهوا بالرسل على أثر الرسل، فكان آخر كتاب ورد عليه منهم كتاب هانئ بن أبي هانئ، وسعيد بن عبد الله الخثعمي: بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين، أما بعد فحي هلا، فإن الناس ينتظرونك، لا إمام لهم غيرك، فالعجل ثم العجل والسلام." .

يخالف هذا الظاهر المحكم الا قراءات وتنبؤات للمستقبل من أناس لم يدعي أي منهم معرفته بالغيب[٨] ..

فالحسين (عليه السلام) قد تمت عليه الحجة بحسب القوانين الطبيعية ، ولو كان قد ترك الذهاب الى العراق لكان للناس ان يحتجوا على الله يوم القيامة فيقولون : نحن قد دعونا وليك ، والمنصب من قبلك الا انه لم يأت الينا، وكل ما حدث من انحراف ، وضلال ، وعدم تطبيق للشريعة انما هو بسبب الحسين الذي لم يجب دعوتنا .

الحسين(عليه السلام) كان قائدا عارفا بما يجري حوله.

بيان اخر : اذا جردنا الحسين من الامامة والعصمة[٩] ونظرنا الية كشخص عادي فإننا سنرى بانه كان رجلا محنكا له خبرة عسكرية ، وسياسية ، ومعرفة كبيرة

---

[٨] اقصد ابن عباس وامثاله الذين طلبوا من الحسين عدم الخروج الى العراق وفقا الى تنبؤاتهم وقراءاتهم للمستقبل .. حيث استنتجوا من غدر الناس في الماضي غدرا مستقبليا .

[٩] الكلام هنا فرضي لمجاراة البحث وفرض المحال ليس بمحال .

بأوضاع واحوال البلدان فقد عاصر النبي (صلى الله عليه واله وسلم)[١٠] وعاش مع والده حياة المعارضة ، والتقية ، وعاش معه أيضا حياة الحكم ، والسياسة ، والخلافة ، والمعارك ، وعاش مع أخيه (عليه السلام) فترة خلافته والأوضاع العصيبة والصعبة التي جرت عليه ، فكل هذه التجارب التي عاشها الحسين بإمكانها ان تصنع منه رجلا صاحب تجارب كبيرة ، وخبرة واسعة في مجال السياسة ، وإدارة الأمور ، والحرب.

اذا نظرنا اليه بهذا التجرد يمكننا القول بانه كان الأولى له عدم الذهاب ، وعدم الاكتراث بما جاء في رسائل وكتب اهل العراق ، ويمكن ان نقول أيضا بان نصيحة ابن عباس[١١] له ، كانت في محلها بل يمكن ان نتعقل ونفهم الموقف الصحيح[١٢] الذي اتخذه البعض _ ممن لا يؤمنون

---

[١٠] كان عمر الحسين (عليه السلام) عند موت النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ٧ سنوات تقريبا .

[١١] اذ نصح الحسين بعدم الذهاب الى العراق .

[١٢] الموقف لم يكن صحيحا ولكن كما قلنا بان الكلام فرضي فعلى فرض كون الحسين ليس بإمام وحاله شبيه بحال ابن الزبير وابن عمر سيكون موقف الذين لم يخرجوا معه صحيحا .

بإمامته _ تجاه حركته (عليه السلام) اذ حقنوا دمائهم ولم يخرجوا[١٣] معه اذ ان مسألة قتله واراقة دمه كانت واضحة اذا ما نظرنا الى سوابق القوم مع والد الحسين واخ الحسين.

الحسين (عليه السلام) امام معصوم .

اما اذا نظرنا الى الحسين (عليه السلام) كإمام معصوم مفترض الطاعة كما هو الحق فان المسألة ستنعكس تماما اذ ان الواجب الشرعي كان يحتم عليه الذهاب فالحجة قد تمت والرسائل والكتب قد وصلت ولو ترك (عليه السلام) الذهاب لكان للناس ان يحتجوا على الله (عز وجل) يوم القيامة بانهم أرادوا نصرة المعصوم وسعوا في ذلك واجهدوا انفسهم كاتبوه الا انه تخلف عنهم [١٤].

---

[١٣] ينقل لنا التاريخ بان للحسين اخا اخر من ابيه اسمه عمر او عمرو كان قد تقاعس عن نصرته والخروج معه .

[١٤] تحيل حركات وسكنات ائمة اهل البيت (عليهم السلام) تابع للاعتقاد فمن يراهم ائمة فرض الله طاعتهم سيقرأ تحركاتهم بطريقة مختلفة عمن لا يراهم كذلك .

ذهب الحسين (عليه السلام) للحج .

الان ذهب الحسين (عليه السلام) لأداء الواجب الشرعي[١٥] _كمن وجب عليه الحج وذهب الى بيت الله لإفراغ ذمته وأداء الواجب الشرعي _ فاتجه نحو القوم الذين دعوه وكاتبوه ناقلا للخلافة الى الكوفة كما فعل امير المؤمنين (عليه السلام) ولكن القوم نكثوا العهود والمواثيق وانقلبوا على اعقابهم وانكروا كتبهم[١٦] وتبدلت مواقفهم فحاصروا الحسين واهل بيته واصحابه [١٧] وتغيرت الأمور والاحداث فطلب الحسين من الناس الذين جاءوا معه الانسحاب والرجوع وفعلا رجع جماعة ، والذي يظهر لي بان هذا الطلب لم يكن على نحوا الوجوب والالزام بل

---

[١٥] الواجب الشرعي العظيم وهو إقامة حكم الله في الأرض وتأسيس دولة دينية قائمة على المبادئ السامية .

[١٦] اذكر بعض الأسماء التي واجهها الحسين بالكتب وانكروا ان يكونوا قد بعثوا بها اليه وأيضا اذكر كلامه عليه السلام عندما قال : دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا .

[١٧] ربما كان بعض هؤلاء يمثلون كوادر الحكومة المرتقب اقامتها في الكوفة .

كان تخييريا فمن أراد الرجوع فليرجع ومن أراد البقاء فليبق وهكذا انسحب جماعة وبقى اخرون .

من ترك الحسين(عليه السلام) كان ابلها ولم يكن مؤمنا.

يبدوا ان الذين انسحبوا ورجعوا كانوا من البله ومن الذين لا دراية له بالأمور ولا خبرة لهم ومن المؤكد أيضا انهم ما كانوا يؤمنون به (عليه السلام) اماما معصوما والا لو كانوا من الاذكياء والفطنين لما ساروا معه من الأول لان المعركة واضحة النتيجة والرجل مقتول مغدور به وقد قرئها ابن عباس واشباهه منذ البداية عندما تركوا الالتحاق به ، ترى ما الذي جعل اولئك يسيرون في ركابة وهم لا يؤمنون بإمامته وعصمته سوى البلاهة وضعف العقل والطمع الذي ارهق عقولهم ؟

المهم لحق هؤلاء بالحسين (عليه السلام) طمعا ، وتملقا له لأنه سيكون الخليفة الا انه لما استوقفه جيش الحر

وتجمع عليه القوم وتبدلت الأمور صار الامر واضحا والذي زاد الوضوح هو مصارحة الحسين إياهم بان الأوضاع قد تبدلت ،فلا خلافة ولا حكم فمن أراد الذهاب فليذهب ، وهكذا تفرق السواد عنه ، وبقي هو والثلة المؤمنة به ليواجهوا المصير المحتوم.

نتيجة الغربلة .

ما اريد قوله هو ان الحسين (عليه السلام) في أيامه الأخيرة غربل من كان حوله فكانت النتيجة قسمين من الناس :

الأول : الذين لم يؤمنوا بانه (عليه السلام) امام مفترض الطاعة وهؤلاء هم البلهاء واهل الطمع الذين تركوه وانصرفوا .

الثاني : الخلص من أصحابه واهل بيته وهؤلاء هم من الاذكياء الذين كان يعرفون بانهم سيقتلون ويعرفون النتيجة

مسبقا الا ان ايمانهم بالحسين (عليه السلام) وطاعتهم له ومعرفتهم بالتكليف الشرعي جعلتهم يبقون معه الى النهاية .

حكم المأموم

ترى ما هو الواجب الشرعي للمكلف تجاه امامه او قل ماذا يتوجب على المأموم اذا علم بان هناك من يريد قتل امامه ؟

الجواب : لابد وان يسعى جاهدا للدفاع عن امامه بكل ما يستطيع فان استطاع ان يدفع الخطر بالأموال وجب عليه ذلك ، وان كان يستطيع بسبيل وطريق اخر وجب ذلك بل يجب عليه ان يضحي بنفسه من اجل امامه وفي سبيل إنقاذه ودفع الخطر عنه ، وهذا بالفعل بالضبط هو ما قام به أصحاب الحسين (عليه السلام) اذ انهم حاولوا الحفاظ على حياة امامهم بقدر ما يستطيعون فضحوا بأنفسهم

وبذلوا مهجهم دونه بل عملوا على إبقاء رحمة الله _ اقصد المعصوم _ لا طول فترة ممكنه بقتالهم وبسالتهم وصدهم للعدو ..

ولا فرق في واجب الدفاع عن الامام المفترض الطاعة بين ان يكون المدافع معصوما او غير معصوم ، لذا قام الامام زين العابدين (عليه السلام) لأداء وظيفته الشرعية تجاه امامه الحسين[١٨] (عليه السلام) الا ان الحسين امره بالجلوس وترك القتال فكان يجب عليه ان يطيع الامر ويجلس[١٩] ..

وهكذا دافع القوم عن امامهم وادوا الواجب الشرعي ورحلوا بوجوه بيضاء مخلفين تاريخا عابر للأجيال فجزاهم الله خير الجزاء .

والحمد لله رب العالمين .

---

[١٨] هذا الموقف يذكرنا بفاطمة الزهراء (عليها السلام) عندما علمت بان القوم ارادوا قتل امام زمانها فتصدت لهم ومنعتهم من ذلك أداء لوظيفتها وواجبها الشرعي .

[١٩] هذه المسالة بحاجة الى تحقيق وتدقيق اكثر من جوانب متعددة .